

اعتراض ابن هشام على الزمخشري في دلالة "أنزل" و "نزل" في القرآن الكريم

إعداد:

الدكتور مصطفى تجّاني

قسم اللغة العربية، جامعة بايرو، كونيغرييا

ملخص:

لم تنزل الدراسة النحوية تحمل أشكالاً مختلفة بعد المدرستين؛ البصرية، والكوفية، فكان النحاة يظهرون على أشكال متنوعة، فتارة يظهرون في شكل المفسرين، وتارة في شكل النحاة الخالص، فإذا ظهروا في شكل المفسرين تهتمهم الدلالات، والمعاني القرآنية، كما أنّهم إذا ظهروا في شكل النحاة الخالص، تهتمهم آراء النحاة السابقين. ووجه هذا المقال اهتمامه إلى الجانب التفسيري بين العلمين الكبيرين، هما: ابن هشام الأنصاري، وجار الله الزمخشري، وفي لفظتين قرآنتين، هما: "أنزل" و "نزل" ليبرز كيف كان تناول الشخصيتين القضية؟ وهل كانا يقارنان دلالات المفردات القرآنية بدلالات الصيغ المعروفة عند الصرفيين؟ أم ينظرون إلى دلالات أخرى؟ وهدف المقال كشف النقاب عن الاعتراض الذي وجهه ابن هشام إلى الزمخشري. ويستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليل لمعالجة الموضوع.

Abstract:

The grammatical study continued to take on different forms after the two schools; Basrah and kufa. The grammarians were shown in a variety of forms, sometimes purified in the form of interpreters, while sometimes in the form of Natural Grammarians. If they appeared in the form of interpreters, they were implicated in semantics and Quranic meanings, while if they appeared in natural grammarians they were implicated in views of

the ex-Grammarians. This article draws attention to the explanatory aspect between the two great scholars: Ibn Hisham Al-Ansari and Jarullah Al-Zamakhshari, and in two Qur'anic Words: "Anzala" and "Nazzala" to see how the two personalities dealt with the issue. Did they compare the meanings of the Quranic vocabulary with the meanings of the formulas known to the artisans? Or they look at other signs? The article aims to reveal the objection of Ibn Hisham to Zamakhshari in that particular issue. The researcher uses descriptive analysis to address the subject

مقدمة:

يدور هذا المقال حول شخصيتين عظيمتين، هما: ابن هشام الأنصاري، والزمخشري حيث كان لكل منهما دور كبير في النحو العربي، وهما يتفقان في معالجة الآيات القرآنية مع إظهار آرائهما النحوية عليهما، فتجد كلاً منهما يبحث عن الدلالة التي ترمي إليه ألفاظ القرآن الكريم، فتارة يتفقان وتارة أخرى يختلفان كما في المسألة المدروسة في هذا المقال. هذا، ويشمل المقال النقاط التالية:

١-التعريف بكل من ابن هشام، والزمخشري.

٢-معنى الاعتراض لغة واصطلاحاً.

٣-اعتراض ابن هشام الأنصاري على الزمخشري في دلالة "أنزل" و "نزل" في القرآن الكريم.

٤-تعليق الباحث على المسألة.

٥-الخاتمة.

١-التعريف بكل من ابن هشام والزمخشري:

أ-التعريف بابن هشام:

هو عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن هشام جمال الدين أبو محمد النحوي الفاضل المشهور^١ ولد بالقاهرة، يوم السبت الخامس من ذي القعدة سنة ٧٠٨هـ عاش ابن هشام في عصر المماليك، وهو ما بين (٦٥٦هـ-١٢٢٠هـ) وكانت مصر أيام المماليك-بالنسبة لبقية الأقطار العربية-موئل الرجاء، ومركز الحضارة. اتخذ المماليك

موقفاً إيجابياً من العلماء، وأنفقوا على نوايغ الأساتذة وكبار العلماء من غير تضييق أو بخل. وأما بالنسبة للحياة الفكرية، والثقافية، والدينية لعصر ابن هشام؛ فكانت مصر منذ الخلافة العباسية محل سكن العلماء، ومحط رجال الفضلاء، وهكذا ظلت مصر مركز إشعاع كبير للفنون والنشاط الفكري في مجالات عدة، وهي في حقيقة أمرها تنشط نشاطاً موسوعياً واسعاً.^٤

نشأ ابن هشام نشأة متواضعة؛ إذ لم تكن أسرته من ذوي الثروة والغنى والجاه.^٥ حصل ابن هشام على فرصة التعلم الأولى على أيدي المؤدبين الذين يبدئون مع الصبيان بتعليمهم مبادئ القراءة والكتابة، فيعلمونهم قراءة القرآن، وكتابة اللغة وقواعدها، وبعض الشعر، وأداب الدين، وبعد ذلك إلى المدارس حيث يواصل الطالب تعلمه، فيدرس فيها الفقه، والحديث، والتفسير، والعلوم اللغوية كالنحو، والصرف، والبيان، وغير ذلك.^٦

أخذ ابن هشام علومه من عددٍ غفيرٍ من الأساتذة، منهم:

- الشيخ شهاب الدين عبد اللطيف بن المرخل، المكنى بأبي فرج (ت ٧٤٤هـ). لزمه ابن هشام وأخذ عنه النحو. وقد نوه به وذكر قدره أكثر من مرة، وكان يفضلّه على أبي حيان وغيره من العلماء ويقول: "كان الاسم في زمانه لأبي حيان والانتفاع بابن المرخل"^٧

- ابن السراج محمد بن محمد بن نمير الشيخ شمس الدين بن السراج (ت ٧٤٩هـ). أخذ عنه ابن هشام القراءات.^٨
- والشيخ تاج الدين الفاكهاني (ت ٧٣٤هـ)، قرأ ابن هشام عليه جميع شرح "الإشارة" في النحو إلا الورقة الأخيرة.^٩
- وسمع من أبي حيان (ت ٧٤٥هـ) ديوان زهير بن أبي سلمى، ولم يلازمه، ولا قرأ عليه، وكان كثير المخالفة له شديد الانحراف عنه. وغيرهم من العلماء.

ومما يلاحظ أنّ هؤلاء الأساتذة اتصفوا بصفات علمية مختلفة تجسّدت وتمثلت في ابن هشام، فهم علماء نحو، وقراءات، ولغة، وأدب، وفقه، وحديث، وتفسير، فلا عجب إن وجد ابن هشام يتتبع آراء نحاة مفسرين مؤيداً أو معارضاً.

وقد تتلمذ على ابن هشام طلاب كثيرون منهم: عليّ ابن أبي بكر البالسي (ت٧٦٨هـ)، وابن الملاح الطرابلسي (ت٧٧٥هـ)، والنويري (ت٨٨٦هـ) وابن جماعة (ت٧٩٠هـ)، وابن إسحاق الدّجوى (ت٨٣٠هـ) ومحبّ الدين ابن هشام (ت٧٩٩هـ) وغيرهم كثيرون.^{١١}

وفاته:

توفي ابن هشام ليلة الجمعة الخامس من ذي القعدة ٧٦١هـ.^{١٢}

آثاره:

لابن هشام الأنصاري آثار علمية غزيرة، منها:

أ- إقامة الدليل على صحة التمثيل، وفساد التأويل في الصرف.

ب- عمدة الطالب في تحقيق تصريف ابن الحاجب: وهو شرح لشافية ابن الحاجب في علمي التصريف والخط.

ج- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، وهو شرح لألفية ابن مالك في النحو والصرف.

د- شذور الذهب في معرفة كلام العرب. وشرحه.

ه- قطر التّدى وبلّ الصّدى، وشرحه.

و- شرح اللمحة البدرية، لأبي حيّان.

ز- مغني اللبيب عن كتب الأعراب^{١٣}

فهذه بعض آثار ابن هشام الأنصاري في مجال النحو والصرف، وهي التي تدل على تمكّنه وثقافته الواسعة في هذا

المجال، وهي أيضاً ما حققت وحفظت شخصيته النحوية والصرفية، وفكرته الثاقبة، وبعد نظره فيه.^{١٤}

مكانته العلمية:

يقول ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) في مكانة ابن هشام الأنصاري: "...لقد اشتهر في حياته، وأقبل الناس عليه، وتصدّر

لنفع الطالبين، وانفرد بالفوائد الغريبة، والمباحث الدقيقة، والاستدراكات العجيبة، والتحقيق البالغ، والاطلاع

المفرط، والاعتدال على التصرف في الكلام، والملكة التي كان يتمكن بها من التعبير عن مقصوده بما يريد مسهباً

موجزًا، مع التواضع واليسر، والشفقة، ورقة القلب، إنّها لعمري سمات العلماء الذين بارك الله في أعمالهم، ومآثرهم...^{١٥}

ومما يدل على مكانة ابن هشام العلمية ورسوخ قدمه في المجال النحوي أيضاً: ما قاله ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) عنه:
"... ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم

بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه..."^{١٦}

بالنظر إلى ما سبق يتبين جلياً مدى مكانة هذا العالم وثقافته العلمية، لأنها بمثابة شهادة شاهد من أهلها، حيث إنها صدرت من عالمين جليلين ذكرا ما عرفا من ابن هشام الأنصاري ومكانته العلمية.

ب-التعريف بالزمخشري:

هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري جار الله. ولد بزمخشر

يوم الأربعاء السابع والعشرين من رجب سنة ٤٦٧هـ^{١٧}وزمخشر: إحدى قرى خوارزم^{١٨}ويلقب بجار الله؛ لأنه سافر إلى مكة وجاورها زمناً.^{١٩}

عاش الزمخشري في بيئة خوارزم التي كانت ذات أهمية في تقدّم الحضارة في آسيا الوسطى، وفي عهد السلطان جلال الدنيا والدين أبي الفتح مَلِكُشَاهُ الذي يقاس عهده في عظّمته وفخامته بأزهر عهود الدولة الرومانية، حيث ازدهرت التجارة والصناعة وزهت الآداب والفنون. وكان يعاونه في إدارة الملك وزيره نظام الملك الذي يُعد من أقدر وزراء الإسلام بعد يعي البرمكي. وكان له مجالس يحضرها أئمة الدين من قراءٍ وفقهاء ومحدّثين، كما أنّه أنشأ المدارس في الأمصار المختلفة لتعليم الحديث، بل كان يمليه بنفسه. وُمن ثمّ نشأ في هذا العصر طبقات من الكتّاب المجيدين الذين وُلوا المناصب العالية، ووُقر لهم الرزق، ووُسع عليهم العيش، لكيلا يشغلوا بمآكلهم. ففي هذا العصر الذي يشجع العلم، ويبسط حمايته، نشأ الزمخشري، وعليه تفتحت عينه.^{٢١}

وأما بالنسبة لحياة الزمخشري العلمية؛ فقد درج في مدينة خوارزم، وفيها تعلّم أصول القراءة، والكتابة، وحفظ القرآن الكريم، وأخذ العلم عن جماعة من شيوخها، ثم ارتحل في سبيل العلم، ونهل من علماء كثيرين، كما نهل من

مؤلفاتهم التي كانت منتشرة في زمانه، ثم رحل إلى الحجاز، وأقام بها مدةً للتعلّم. وكان الزمخشري رأساً في العربية، وله نظم جيّد في الشعر.^{٢٣}

أساتذته:

تعلّم الزمخشري من علماء عديدين أشهرهم:

-أبو بكر عبد الله بن طلحة بن محمد بن عبد الله الليابري الأندلسي، من أهل يابرة، فهو نحوي أصولي فقيه. قرأ عليه الزمخشري بمكة كتاب سيبويه، والذي توفي سنة (٥١٨هـ).^{٢٤}

-أبو مضر محمود بن جرير الضبي الأصبهاني الذي كان يلقّب بـ (فريد دهره ووحيد عصره) في علم اللغة والأدب والنحو، ومضروباً به المثل في أنواع المكارم والفضائل، أخذ عنه الزمخشري اللغة، وتأثر بمذهبه الاعتزالي أيضاً، والذي توفي سنة (٧٠٥هـ).^{٢٥}

-ركن الدين محمد الأصولي، الذي تلقى عنه أصول الدين، وتعلّم عنه التفسير أيضاً.^{٢٦}

-كما أنّه سمع من شيخ الإسلام ابن منصور الحارثي، ومن أبي سعد الشفاني وغيرهم.^{٢٧}

وكان الزمخشري محباً للعرب والعربية. قال في مقدمة كتابه المفصل: "...الله أحمد على أن جعلني من علماء العربية، وجبلي على الغضب للعرب، والعصبية، وأبي لي أن أتفرد عن صميم أنصارهم وأمتاز، وانضوى إليّ لفيف الشعوبية وأنحاز..."^{٢٨}

تلامذته:

تتلمذ عند الزمخشري طلاب كثيرون أمثال: أبي الحسن علي بن هارون العمراني الخوارزمي، الملقّب (حجة الأفاضل)، تلقى الأدب والحديث عن الزمخشري ومحمد بن أبي القاسم بن بايَجُوكَ البقالي الخوارزمي، وأبو يوسف يعقوب بن علي بن محمد بن جعفر البلخي، وغيرهم.^{٢٩}

وفاة الزمخشري:

توفي الزمخشري في خوارزم، -كما ذكر الأنباري في نزهة الألباء- في ليلة عرفة سنة ٥٣٨هـ. وكان مقطوع الرجل قبل موته؛ فقد جعل له رجلٌ من خشب يستعين بها في المشي.^{٣١}

آثاره:

خلف الزمخشري آثارًا علمية غزيرة في فنون مختلفة، يذكر الباحث النحوية والصرفية منها على سبيل المثال: "نكت الأعراب في غريب الإعراب في إعراب القرآن، و"المفصل في علم العربية في النحو والصرف" و"الأنموذج في النحو" و"الأمالي في النحو" و"المفرد والمؤلف في النحو" وألف حاشية على المفصل في النحو" ثم شرح المفصل في النحو" و"شرح كتاب سيبويه" وألف المحاجاة وتمام مهام أبواب الحاجات في الأحاجي والألغاز" و"المفرد والمركب" و"الكشاف".

وغير ذلك من الكتب القيمة.^{٣٢}

مكانته العلمية:

للمزمخشري مكانة عظيمة في مجال العلم عامة بما في ذلك النحو والتفسير، فقد أفرغ شطراً كبيراً من حياته للعلم، والتأليف، ذلك منذ أول الأمر ابتعد عن كل مشغلة، فقد اعتزل النساء ونسهن يقول:^{٣٣} ومما يدل على ما ناله الزمخشري من مكانة علمية، ومنزلة بالغة الأهمية، آراء العلماء التي ضممتها كتب التراجم والطبقات فيه، قال القطفي (٦٢٤هـ): " وكان رحمه الله ممن يُضرب به المثل في علم الأدب، والنحو، واللغة. لقي الأفاضل والأكابر، وصنّف التصانيف في التفسير، وغريب الحديث... "وقال عنه السمعاني: "برع في الأدب وصنّف التصانيف، ورد العراق، وخراسان، ما دخل بلدًا إلا واجتمعوا عليه وتلمذوا له، وكان علامةً نسابةً... "ووصفه السيوطي، بسعة العلم والذكاء، وجودة القريحة والتفنن في العلوم الكثيرة. ووصفه الدكتور شوقي ضيف من المحدثين؛ بأنه عالم من علماء التفسير وإمام من أئمة اللغة والنحو. وهذا قليل من شهادة العلماء بالنسبة لمكانة الزمخشري في الفنون العلمية المختلفة.

٢- معنى الاعتراض لغة واصطلاحاً:

الاعتراض لغة: وقد ورد لفظ الاعتراض في المعاجم اللغوية بمعانٍ مختلفة، منها: أ-المنع: "...والاعتراض المنع، قال الصاغانى: والأصل فيه أنّ الطريق المسلوك إذا اعترض فيه بناء أو غيره كالجدع أو الجبل من السابلة من سلوكهم، فوضع الاعتراض موضع المنع لهذا المعنى..."^{٣٨}
ب-عدم الاستقامة: "...واعترض الفرس في رَسَنِه، لم يستقم لقائده..."^{٣٩}

ج-الوقوف في الشيء: "...واعترض فلان فلانا: أي وقع فيه وعارضه: أي جانبه وعدل عنه..."^{٤٠}

د-الابتداء بالشيء من غير أوله: "...واعترضت الشهر: إذا ابتدأته من غير أوله..."^{٤١}

الاعتراض اصطلاحاً:

هو تقابل الدليلين على سبيل الممانعة بحيث يقتضي أحدهما ثبوت أمر، واقتضى الآخر انتفاءه.^{٤٢}

والاعتراض أيضاً: هو دفع القول وردّه، والحيلولة بين أمرٍ وآخر بما يشبه الخشبة المعترضة في النهر.^{٤٣}

٣-اعتراض ابن هشام على الزمخشري في دلالة: "أنزل" و "نزل" في القرآن الكريم.

ذكر ابن هشام أنّ هناك سبعة أشياء يتعدى بها الفعل القاصر (اللازم) وهي على النحو التالي:^{٤٤}

١-همزة أفعل: نحو قوله تعالى: {أَذْهَبْتُمْ طَيْبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا} الأحقاف: ٢٠. ونحو: جلس زيد: أجلسته.

وقد ينقل المتعدي إلى مفعول واحد إلى التعدي إلى مفعولين، وذلك نحو: ألبست زيدا ثياباً. ولم ينقل متعدٍ إلى اثنين

بالمهمزة إلى التعدي إلى ثلاثة، إلا في "رأى" و "علم"

٢-ألف المفاعلة: تقول في نحو: جلس زيد-جالست زيدا. وفي نحو: مشى أحمد - ماشيته. ونحو ذلك.

٣-صوغه على فعلت: بالفتح أفعل لإفادة الغلبة، تقول: "كرمت زيدا" بالفتح أي غلبته في الكرم.

٤-تحويل الفعل الثلاثي اللازم إلى صيغة "استفعل" التي تدل على الطلب: نحو: حضر الغائب، استحضرت

الغائب. أو على النسبة، نحو: حسن الصنيع. استحسننت الصنيع.

٥-تضعيف العين: تقول في "فرح زيد" فرحته.

٦-التضمين: وهو أن يؤدي فعل-أو ما في معناه-مؤدى فعل آخر، أو ما في معناه، فيعطى حكمه. مثاله في التعديّة: "لا

تعزموا السفر" فقد عدّي الفعل "تعزم" إلى المفعول به مباشرة. مع أنّ الفعل لازم لا يتعدى إلا بحرف الجرّ. فتقول:

أنت تعزم على السفر. وذلك لأنّ الفعل "تعزم" ضمن معنى الفعل المتعدي "تنوي" فالمعنى = "لا تنووا السفر".

٧-إسقاط الجار توسعاً: وذلك نحو قوله تعالى: {وَلَكِنَّ لَأُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا} البقرة: ٢٣٥. أي "على سرّ" أي النكاح.

ومنه أيضاً قوله تعالى: {أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ} الأعراف: ١٥٠. أي عن أمره.

هذه هي الأمور التي يتعدى بها الفعل القاصر. ومحل اعتراض ابن هشام على الزمخشري: هو في تضعيف العين، وإدخال همزة "أفعل". وليس في كونهما من الأمور التي يتعدى بها الفعل اللازم؛ بل في دلالة المعنى، وخاصةً في قوله تعالى: {نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ} آل عمران: ٣. كما يقف عليه المقال في التحليل الآتي:

الفعل القاصر (اللازم): هو الفعل الذي لا يحتاج إلى مفعول به بل يقتصر برفع فاعله فقط. مثل: لا يُضَيِّعُ حَقُّ طَالِبِهِ أَنْصَارَهُ. ضاع الكتابُ. وغير ذلك من الأمثلة.^{٤٥}
ينقسم الفعل باعتبار معناه إلى متعديٍّ ولأزم:

الفعل اللازم: وهو ما لا يتعدى أثره فاعله ولا يتجاوزُه إلى المفعول به، بل يبقى في نفس فاعله. مثل: ذهب سعيد. سافر خالد. وهو يحتاج إلى الفاعل ولا يحتاج إلى المفعول به، لأنه لا يخرج من نفس فاعله فيحتاج إلى مفعول به، بل يقع عليه. ويسمى الفعل القاصر لقصوره عن المفعول به، واقتصراره على الفاعل. ويسمى بالفعل غير الواقع: لأنه لا يقع على المفعول به. ويسمى الفعل غير المجاوز، لأنه لا يجاوز فاعله.^{٤٦}

الفعل المتعدي: وهو ما يتعدى أثره فاعله ويتجاوزُه إلى المفعول به مثل: فتح طارق الأندلس. وهو يحتاج إلى فاعل، ومفعول به يقع عليه. ويسمى أيضاً الفعل الواقع: لوقوعه على المفعول به. والفعل المجاوز لمجاورته الفاعل إلى المفعول به. وعلامته أن يقبل هاء الضمير التي تعود إلى المفعول به. مثل اجتهد الطالب فأكرمه أستاذه. وينقسم إلى قسمين: -

١ المتعدي بنفسه: وهو ما يصل إلى المفعول به مباشرة، أي بغير واسطة حرف الجر. مثل: برئت القلم. ومفعوله يسمى: صريحاً.

٢- المتعدي بغيره: وهو ما يصل إلى المفعول به بواسطة حرف الجر. مثل ذهبت بك. بمعنى: أذهبتك. ومفعوله يسمى غير صريح.^{٤٧}

ومن الأمور التي يتعدى بها الفعل القاصر (اللازم): تضعيف العين. تقول: فرح زيد. "فرحته". فالأصل من هذا الفعل اللازم الذي هو: "فرح" والذي لا يحتاج إلى مفعول بل اقتصر على فاعله (زيد) فجئ بتضعيف العين ليصير متعدياً: فصار الفعل "فرح" متعدياً أي: كان له فاعل، وهو "تاء المتكلم" ومفعول به وهو "الهاء".
وقد اجتمعت التعدية بالهمزة والتضعيف في قوله تعالى: {نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ} آل عمران: ٣.

ذهب الزمخشري إلى أن بين التعديتين فرقاً، فقال في كشفه عند تفسير الآية: "...قلت: لأن القرآن نزل منجماً، ونزل الكتابان جملة..."^{٤٨}

يرى الزمخشري أن هناك فرقاً بين "نزل" و "أنزل". ويرى أن "نزل" فيه دلالة على أن استعمال هذا التضعيف يوحى إلى أن النزول يكون منجماً. و"أنزل" فيه إحياء إلى أن المعنى: نزوله جملة واحدة.

وقد جيء بنزل في الأول (القرآن) لنزوله منجماً. وأنزل في الثاني (التوراة وللإنجيل) لأنهما أنزلا جملة واحدة. ولذلك قال في خطبة كشفه: "الحمد لله الذي أنزل القرآن كلاماً مؤلفاً منظماً، ونزله بحسب المصالح مُنْجَمًا..."^{٤٩} لأنه أراد بالأول: أنزله من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، وهو الإنزال المذكور في قوله تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} القدر: ١. وفي قوله تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} البقرة: ١٨٥. وأراد بالثاني: تنزيهه من سماء الدنيا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، نجومًا في ثلاث وعشرين سنة.
اعتراض عليه ابن هشام بقوله: "... ويشكل على الزمخشري قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ} الفرقان: ٣٢ فُقرن "نزل" بجملة واحدة. وقوله تعالى أيضاً: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَفْعَدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ} النساء: ١٤٠..."^{٥٠}

يرى ابن هشام؛ أنه لا يوجد فرق بين التعديتين، بل هو مجرد التعدية، التي تجعل الفعل اللازم متعدياً. لذلك برهن ببعض الآيات التي تشير إلى عدم موافقة الزمخشري فيما ادّعاها.

٤-تعليق الباحث في المسألة.

يرى الباحث أنّ هذا التنوع اللفظي بين كلمة "نزل" و"أنزل" له فائدة في دلالة اختلاف المعنى، بل هو المساحة الواسعة التي تمشي فوقها اللغة العربية، وإحدى خصائصها. وليس كما ذهب إليه ابن هشام من أنّه ليس هناك فرقٌ بينهما.

وأما قول الرمخشي، إنّ "نزل" في الآية المدروسة؛ تفيد أنّ القرآن نزل منجماً مفرقاً، و "أنزل" تفيد أنّ التوراة والإنجيل نزلا جملة واحدة. فمردودٌ، وذلك بالنظر إلى بعض الآيات القرآنية التي أجاب عنه ابن هشام، من أمثال قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً} الفرقان: ٣٢ فكيف "نزل" في هذه الآية مقرونة ب "جملة واحدة" وكذلك قوله تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} القدر: ١. أي أنزلناه من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا جملة واحدة.

فالذي يبدو للباحث أنّ الفرق بينهما هو: أنّ "نزل" تفيد الاهتمام والتأكيد، وذلك نحو: وصّى، وأوصى، وكرّم، وأكرم. ينظر على سبيل المثال، قوله تعالى: {أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ} الأعراف: ٧١. وقوله أيضا: {مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ} يوسف: ٤٠.

ففي سورة الأعراف: محاوراة شديدة حيث قالوا: "أجئتنا لنعبد الله وحده" إلخ فيها تهديد لكلام شديد من أولئك، كيف جعلنا نترك آلهتنا ونعبد الله وحده. ففيها اهتمام لهذه المحاوراة فجاء بلفظ "نزل". وأما في سورة يوسف: فلم يردّ عليه السجينان، وليس فيها تهديد، فالموقف يختلف عن آية سورة الأعراف، فجاء بلفظ "أنزل". ف "نزل" في موطن الاهتمام، أشدّ وأقوى وأكد من "أنزل". والله أعلم.

الخاتمة:

ناقشت المقالة اعتراضات ابن هشام الأنصاري، على جار الله الزمخشري، في لفظتين قرآنيتين، هما: "أنزل" و "نزل" فبدأت بتعريف الشخصيتين، ثم بعرض موجز لمعنى الاعتراض لغة واصطلاحاً، ثم إلى الاعتراض الذي صدر من ابن هشام على الزمخشري، ثم ذكر الباحث رأيه في المسألة. وقد توصل المقال إلى بعض النتائج، منها:

- أن الشخصيتين يبحثان في دلالات مفردات القرآن الكريم.

- أن ابن هشام وإن لم يكن معروف في مجال التفسير إلا أنه مفسر، فغني اللبيب عن كتب الأعراب شاهد على ذلك إذ إنه مملوء بالبحث عن دلالات الألفاظ القرآنية.

- قد يترك المفسر النحوي دلالة الصيغة إلى دلالة أخرى وخاصة عند تفسير الآيات القرآنية، كما حدث للزمخشري في اللفظتين المدروستين.

المراجع والهوامش:

^١- ينظر: أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر شهاب الدين أبو الفضل العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، (بدون عدد الطبعة؛ بيروت لبنان: دار احياء التراث العربي، بدون تاريخ)، ج ٢، ص ٣٠٨.

^٢- أثبتت أكثر المراجع هذا التاريخ. ينظر: عمران عبد السلام شعيب، منهج ابن هشام من خلال كتابه المغني، (ط١؛ بنغازي ليبيا: دار الكتب الوطنية، ١٩٩٨م)، ص ٢٠.

^٣- ينظر: عبد العال سالم مكرم، المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة، (ط١؛ بدون مكان النشر: دار الشروق، ١٩٨٠م) ص ١٩٧.

^٤- ينظر: عصام نور الدين، الفعل في نحو ابن هشام. (ط٢؛ لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م)، ص ١٣.

- ^٥ -ينظر: عصام مصطفى يوسف عبد الواحد، ردود ابن هشام الأنصاري على النحاة، (ط١: القاهرة مصر: مؤسسة المختار، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٠م)، ص ١٩.
- ^٦ -ينظر: الفعل في نحو ابن هشام، المرجع السابق، ص ١٥.
- ^٧ -ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٩٣.
- ^٨ -المرجع نفسه، ج ٢، ص ٤١٥.
- ^٩ -نفسه، ج ٢، ص ٣٠٨.
- ^{١٠} -نفسه، والصفحة.
- ^{١١} -ردود ابن هشام الأنصاري على النحاة، المرجع السابق، ص ١٩-٢٠.
- ^{١٢} -منهج ابن هشام الأنصاري من خلال كتابه المغني، المرجع سابق، ص ٢٨-٢٩.
- ^{١٣} -الفعل في نحو ابن هشام، المرجع السابق، ص: ٢١.
- ^{١٤} -المرجع نفسه، ص: ٢١.
- ^{١٥} -الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، المرجع السابق، ص ٤١٥.
- ^{١٦} -عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، (دون عدد الطبعة؛ بيروت: مطبعة بيروت، بدون تاريخ)، ص ٥٣٢.
- ^{١٧} -كمال الدين عبد الرحمن بن محمد، الأنباري. نزهة الألباء في طبقات الأدباء. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (الطبعة الأولى؛ بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٦٤هـ-٢٠٠٣ م) ص ٣٣٨-٣٣٩
- ^{١٨} -نفسه، والصفحة.
- ^{١٩} -ينظر: محمود بن عمر الزمخشري، الأنموذج في النحو: اعتنى به سامي بن حمد المنصور (ط١: بدون مكان النشر: والناشر، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)، ص ١١

- ٢٠- ينظر: مصطفى الصّاوي الجويني الدكتور، منهج الزمخشري في تفسير القرآن، (ط٢؛ مصر: دار المعارف، بدون تاريخ)، ص ٢٣.
- ٢١- المرجع، نفسه، ص ٣٤.
- ٢٢- نفسه، ص ٣٤.
- ٢٣- ينظر: الأنموذج في النحو، المرجع السابق، ص ١١.
- ٢٤- ينظر: بغية الوعاة، المرجع السابق، ص ٢٨٤.
- ٢٥- ينظر: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم الأدباء، (بدون عدد الطبعة؛ بيروت: دار المشرق، د.ت)، ج ١٩، ص ١٢٣-١٢٤.
- ٢٦- المرجع، نفسه، والصفحة.
- ٢٧- ينظر: فاضل صالح السامرائي (الدكتور)، الدراسات اللغوية والنحوية عند الزمخشري، (بدون عدد الطبعة؛ بغداد: مطبعة الارشاد، ١٣٩٠هـ-١٩٧١م)، ص ١٦-١٧.
- ٢٨- ينظر: محمود بن عمر الزمخشري، المفصل في علم العربية، (ط١؛ صيدا-بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٦م-١٤٢٧هـ)، ص ٥.
- ٢٩- ينظر: الدراسات اللغوية والنحوية عند الزمخشري، المرجع السابق، ص ١٦-١٧.
- ٣٠- قيل إنّه لما دخل بغداد واجتمع بالفقيه الحنفي الدامغاني سأله عن سبب قطع رجله فقال: دعاء الوالدة، وذلك أني في صباي أمسكت عصفورًا وربطته بخيط في رجله وأفلت من يدي، فأدركته وقد دخل في خرق، فجذبتة فانقطعت رجله في الخيط، فتألمت والدتي لذلك، وقالت: قطع الله رجل الأبعد كما قطعت رجله، فلما وصلت إلى سن الطلب رحلت إلى بخارى لطلب العلم فسقطت عن الدابة فانكسرت رجلي فأصيبت بداء أوجب قطعها. ينظر: mahkan.yoo7.com يوم السبت ١٣/٥/٢٠١٧م الساعة الخامسة مساء.

- ٣١- الدراسات اللغوية والنحوية عند الزمخشري، المرجع السابق، ص ٣٣٨-٣٣٩.
- ٣٢- جمال الدين على بن يوسف القطفي. أنباه الرواة على أنباء النحاة. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (. الطبعة الأولى؛ بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م)، ج ٣، ص ٢٦٦.
- ٣٣- ينظر: منهج الزمخشري في تفسير القرآن، المرجع السابق، ص ٤٣.
- ٣٤- ينظر: إنباه الرواة على أنباء النحاة. المرجع السابق، ج ٣، ص ٢٦٥-٢٦٦.
- ٣٥- ينظر: القاسم بن الحسين بن احمد صدر الأفاضل، التخمير وهو شرح المفصل للزمخشري تحقيق: محمد السيد عثمان (الطبعة الأولى؛ لبنان: دار الكتب العلمية، ٢٠١١م)، ص ١٩.
- ٣٦- ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، المرجع السابق، ج ٢، ص ٣٨٨.
- ٣٧- ينظر: شوقي ضيف (الدكتور). المدارس النحوية، (ط ٩؛ القاهرة: دار المعارف، د.ت) ص ٢٨٣.
- ٣٨- ينظر: الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية المرجع السابق، م ٣، ص ١٠٨٤، مادة: (عرض) ومحمد الزبيدي، تاج العروس: تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، (دون عدد الطبعة؛ الكويت: التراث العربي، ١٩٦٥م)، ج ١٨، ص ٤٠٨.
- ٣٩- ينظر: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تهذيب اللغة، (ط ١؛ بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ)، ج ١، ص ٤٦٣.
- ٤٠- ينظر: الصحاح، المرجع السابق، ص ١٠٨٤-١٠٨٥.
- ٤١- نفسه، والصفحة.
- ٤٢- ينظر: محمد بن علي الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، تحقيق: عبد الرحمن المرعشلي، (ط ١؛ بيروت لبنان: دار النفائس، ٢٠٠٣م)، ص ١٢٤.
- ٤٣- ينظر: معجم المصطلحات النحوية والصرفية، المرجع السابق، باب العين، ص ١٥.

- ٤٤- جمال الدين ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب كتب الأعراب، تحقيق وتعليق د. مازن المبارك محمد علي حمد الله، (ط٣؛ بدون ذكر مكان الطبع: دار الفكر، ١٩٧٢م)، ص٦٧٨-٦٨١.
- ٤٥- النحو الكافي. المرجع السابق، ص٤٣.
- ٤٦- ينظر: <https://ar.wikipedia.org> يوم الإثنين: ٢٨/٩/٢٠١٥م.
- ٤٧- نفسه، والتاريخ.
- ٤٨- محمود بن عمر الزمخشري. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. (دون عدد الطبعة؛ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ)، ج١، ص٣٣٦.
- ٤٩- المصدر نفسه، والصفحة.
- ٥٠- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، المصدر السابق، ص٦٨٠.